مكافحة الأمية بين الكبار

أوجه النقص في النظام الحاضر وأوجه الاصلاح المرتقبة

للاستاذ هاشم عساف

تعنى وزارة المعارف في الوقت الحاضر، وعلى رأسها العالم الجليل، معالي الدكتور طه حسين بك، ببحث أنظمة التعليم في البلاد، ومن بينها بغير شك التعليم الأولي ومكافحة الأمية.

ولما كنت وثيق الصلة بموضوع تعليم الكبار بوصفي مديرا لأحد المراكز الثقافية التابعة لمؤسسة الثقافة الشعبية، فإني أبادر إلى الإدلاء، فيما يلي، ببعض الملاحظات والمقترحات عساها تلقى بعض الاعتبار لدى ولاة الأمور عند النظر في هذا الموضوع الخطير

١ — الواقع أن جميع من ينطبق عليهم قانون مكافحة الأمية، هم من الفقراء الذين لم تساعدهم ظروفهم في السنين الأولى من حياتهم على الالتحاق بالمدارس الأولية، وهي بالمجان، إما لجهل والديهم بقيمة التعليم، أو لحاجتهم إليهم في اكتساب القليل من القروش لمعاونتهم في معاشهم، أو لفقد عائلهم واضطرارهم إلى كسب قوتهم مبكرين. وحسبنا لإدراك ما هم فيه من فقر أن نعلم أنهم لم يكونوا إلا قليلين، إذا قارنا عددهم بالعدد الذي كان يجب أن يكون في كل يوم في المدارس الأولية؛ فكيف بهم الآن وقد أصبحوا يافعين، وقويت سواعدهم على العمل، واشتدت حاجتهم لكسب القوت؟

٢ — المعروف حتى الآن أن الجهات الرسمية مازالت تنظر إلى مكافحة الأمية من معناها الضيق. أي أنها تقصرها على معرفة القراءة والكتابة، وتجعل ذلك غاية لا وسيلة؛ فالطالب في هذه السن، وحالته المادية كما ذكرت، غالبا ما يكون مرهقا بالأعمال والكد في سبيل العيش لنفسه ولمن يعول، فلن تجديه المدة التي يقضيها في التعليم نفعا سواء أطالت أم قصرت، والتعليم على هذه الصورة المعهودة من الجفاف. وهو إذ يذهب إلى المدرسة يذهب مرغما

وأنت بحمد الله أول عارف بأن الكريم الحر لا يتزلزل

فلو أن شخصاً أمياً أراد أن يعزي آخر لما عزاه بأقل من هذه العبارات. ومن الدهش أن يصل الليثي في أسلوبه إلى مستوى الأميين وأن ينحط في عباراته إلى درجة سحيقة من الضعف والركة. وما قوله « وأنت بحمد الله أول عارف » إلا مما يجري على ألسنة الدهماء. وقد أسرف في هذه السوقية فقال:

فكن ثابتاً عالي العزائم مقبلا على شأنك الحالي عداك التنزل

فإن مصابا حل قد حل وانقضى ونحن بما يأتي نسام ونشمل

فقوله « إن مصابا حل قد حل وانقضى » من تراكيب العامة ثم انتقل من التعزية إلى التحدث عن حال الفقيد في الجنة وما يتمتع به من حور عين وخمر وغير ذلك. قال:

ومن بان عنا في الفراديس ناعم بظل ظليل دوحه يتهدل

يتنازل ولدانا وحوراً على صفا وفي حسنها من لطفه يتغزل

وليس مما يستحسن أن يقال في حفلة تأبين « يتنازل ولدانا وحوراً .. الخ » ولكن هكذا كانت عادة الشعراء في هذا الدور. فقال احمد عبد الغني:

فالحور والولدان قد فرحوا به واستقبلوه بالسرور وتاهوا

غير أن عبارة « قد فرحوا به » أخف بكثير من عبارة « يتنازل » ولم يتعرض حفني ناصف لذكر الحور والولدان. بل اكتفى بقوله:

في جنة الله في دار النعيم ومن يحلل بها بلغ الغايات أو كربا

وإلى هنا نترك الليثي.

محمد سيد كيلاني

بحكم القانون ، ولكنه يتمنى أن يترك وشأنه ليستغل هذا الوقت فى اكتساب قرش أكثر له ولعياله بدلا من ضياعه سدى فى شىء. يراه كماليا بالنسبة لحالته. ولكأنى به يحدث نفسه فيقول: « ما هى الفائدة التى سوف تعود على من تعلم القراءة والكتابة ؟ أهى فى قراءة الكتب والجرائد والمجلات ؟ أم هى فى تحرير الرسائل وإمساك الدفاتر ؟ . إننى فى غنى عن ذلك جميعا .. إننى فى حاجة إلى ما يقيم الأود ويغنى من الجوع.. الأجدر بكم أيها الحكام أن تتركوا الأميين أحرارا ليكدحوا فى هذه السويعات ، ويبتغوا من فضل الله لعلهم يرزقون .

٣ — لهذا عمد هؤلاء الأفراد إلى التهرب بشتى الوسائل والحيل من الانتظام فى مدارس مكافحة الأمية ، بل لقد تحملوا بعض الغرامات ولكنهم لم يعدلوا عن رأيهم فى هذا النوع من التعليم ، وتمادوا فى العصيان حتى اضطر القائمون بالأمر إلى تغطية الموقف بوسائل ليس هنا مجال سردها ، ولكن أقل ما يقال عنها أنها بعيدة كل البعد عما قصد إليه القانون . وإن كانت هذه الوسائل قد أكسبت النظام مسحة ظاهرة من النجاح ، فإن حقيقة الأمر أن المظهر يخالف المخبر على خط مستقيم . ولو أعطى هؤلاء السادة حرية فى القول وسئلوا عما فى دخيلة أنفسهم لأجابوا بغير تردد أن هذا النظام فاشل ولم يؤد رسالته .

٤ — كان المفروض، على رغم ما فى نظام المكافحة الحالى من عيوب، أن يتناقص عدد الأميين عاما بعد عام ولو بنسبة ضئيلة ؛ ولكن الحقيقة المؤلمة ، ان عدد الأميين، على عكس ذلك، يزداد زيادة مطردة بما يضاف إلى قائمتهم فى كل عام من أشخاص تعدت سنهم حد الالزام ، ولما يستطيعوا ، لسبب أو لأكثر ، تعلم القراءة والكتابة !.. هؤلاء هم مجاول الهدم فى مكافحة الأمية ، ولن يستطيع أى نظام بالغاً ما بلغ من دقة وأحكام، أن يصل إلى الغاية المرجوة ، ما دام هذا التبع يغذى بغيضه الذى لا ينفد جحافل الأميين !

٥ — إن الآراء الحديثة قد توسعت فى تعريف الأمية توسعا كبيراً حتى صارت هذه الكلمة تطلق على الجهل بأى نوع من أنواع العلوم أو الفنون أو الصناعات . فإلى جانب الأمية الأبجدية أو الهجائية ، توجد هناك أميات اجتماعية وسياسية وصحية وفنية ومهنية وهكذا .. ويعتبر على هذا القياس أميا كل من كانت به جهالة للعلم فى أية ناحية من نواحيه المعروفة . وكلما كثر هؤلاء الأشخاص فى أمة من الأمم ، قيل إن الأمية من نوع كذا تفشى بين أفرادها ووجب على أولى الأمر مكافحتها .

٦ — على ضوء هذا المعنى يجب أن نعالج المكافحة . وأعتقد الظن أن هذا هو الاتجاه الذى تتجه إليه هيئة اليونسكو فى الوقت الحاضر . فلقد قامت هذه الهيئة بجهود جبارة لمكافحة الأميات مجتمعة فى وادى « مارييال » بجزيرة « هايتى » إحدى جزر الهند الغربية أتت بأحسن النتائج وأطيب الثمرات . (١)

ونحن فى مصر ، ما أكثر هذه الأميات فى بلادنا ! فإذا أريد الاصلاح حقا ، وإذا أريد أن يكون الاصلاح شاملا ، وإذا أريد أن تكون المكافحة مجدية ، فليكن نصب أعيننا وضع ضمان لكسب القوت .. ولن يتأتى ذلك إلا إذا كوفحت هذه الأميات، وبينها الأمية الهجائية ، مجتمعة وفى آن واحد. وتوضيحا لذلك أقول :

إذا علم الرجل الأمى ، وهو فقير طبعاً ، أنه حينما يذهب لمدارس المكافحة ، يتعلم إلى جانب القراءة والكتابة ، صناعة أو حرفة ، تفتح له أبواب الرزق الحلال ، وتقيه شر العوز ؛ وإذا علم أنه سوف يتلقى دروسا مبسطة فى الدين والأخلاق والصحة والاجتماع مثلا ، لترفع من شأنه كإنسان ، وتجعله مواطناً صالحاً نافعاً لنفسه ولأهله ولوطنه .. إذا علم كل ذلك ، أقبل برغبة صادقة ، بل بشغف وشهم ، على تعلم القراءة والكتابة ، ولأصبحت القراءة عنده والحالة هذه وسيلة يستعين بها على تفهم واستيعاب ما يلقى إليه من دروس .

---

* مجلة الثقافة العدد ٥٦١ فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٤٩ « واد يبث » للاستاذ على رفاعة الانصارى .

ومتى استقر هذا الرأى فى الأذهان ، ورؤى الأخذ به ، فإنى أرى ، قبل البدء فى تنفيذه ، العمل على تحقيق ما يأتى :

(١) تعديل نظام التعليم الأولى تعديلا جامعا بحيث لا يتأتى لأى شخص أن يفلت منه فى نهاية المدة وهو على ما كان عليه من الأمية الهجائية ..

(٢) تعديل قانون مكافحة الأمية بحيث يشتمل على الدراسات الآنف ذكرها .

(٣) جعل مدة الدراسة فى المكافحة ثلاث سنوات بدلا من سنتين حتى يصير الطالب فى نهايتها ملما بالقراءة والكتابة متقنا للصناعة التى تخيرها .

(٤) جعل سن المكافحة تبدأ من السادسة عشرة ، وأن يتمشى قانون التعليم الالزامى مع هذا التحديد .

(٥) جعل مناهج الدراسة مرنة بحيث تتفق والبيئات وحاجات البلاد .

(٦) السير بالتدريج فى تطبيق القاعدة الجديدة بحيث تبدأ أولا فى المدن الكبيرة ، وعواصم المديريات ، ثم تنتقل إلى المدن الصغيرة فالقرى .

(٧) أن تتكفل الحكومة بجميع الخامات والأدوات اللازمة للعمل .

(٨) صرف أجور للطلاب عن انتاجهم بالورش على سبيل التشجيع .

(٩) تقديم وجبات خفيفة لهم أثناء الدراسة أسوة بتلاميذ المدارس الأولية .

(١٠) اعطاء شهادات لهم فى نهاية الدراسة ، غير ملزمة للحكومة بشىء ، كى تساعدهم فى البحث عن عمل .

٧ — هذا النوع من التعليم يختلف اختلافا بينا عن تعليم الصغار الذى تقوم به مراقبة التعليم الأولى أو المراقبات الأخرى بالوزارة . ولقد عنيت به الدول الراقية عناية كبيرة ، فخصصت له دراسات ومناهج معينة ، وحتمت الالمام بها على الأشخاص الذين سيوكل إليهم أمر تعليم الكبار .

والهيئة الوحيدة فى مصر الآن التى تمارس هذا التعليم ، واكتسب رجالها خبرة ومرانا فى هذه الناحية ، هى مؤسسة الثقافة الشعبية . ولقد جاء فى المرسوم الملكى الخاص بإنشائها ما يلى : « العمل على نشر الثقافة العامة بين أفراد الشعب » كما جاء فى المذكرة الإيضاحية لمشروع إنشائها « . وهى فى هذا تهدف إلى تعليم الكبار وتثقيفهم . » وفى موضع آخر « . بل ترمى إلى أن أن يمتد نشاطها إلى سائر المدن ويتغلغل بقدر الامكان إلى صميم الريف . كما تهدف إلى توجيه من نشاء توجيها مهنيا مثمرا . » .

وما دامت هذه هى مهمة مؤسسة الثقافة الشعبية ، وتلك هى أغراضها ، وذلك هو عملها ، فلماذا يوكل أمر تعليم الكبار القراءة والكتابة إلى غيرها ؟ ولماذا تتعدد الأيدى التى تعالج هذا الموضوع فتتوزع الجهود وتذهب جفاء

ألا يجدر بأولى الأمر أن يعملوا على توحيد الجهود وتركيزها فى إدارة واحدة ، تقوم بالاشراف على هذا النوع من التعليم فى شتى نواحيه حتى يؤتى الثمرة المطلوبة ؟

إن الصالح العام ، وكل الظروف . فنية كانت أو إدارية ، تقتضى أن تكون مكافحة الأميات المختلفة ، هى المهمة الرئيسية لهذه المؤسسة . ويجب أن يدور على هذا المحور كل نشاطها . أما مهمة تزويد القارئين فعلا بالثقافة العامة فينبغى أن تكون فى المحل الثانى .

وعندى أنه متى أخذت الحكومة بهذا الرأى ، وبدأت المعاهد والمراكز الثقافية فى العمل على النحو المقترح ، فأخرجت للبلاد بعد ثلاث سنوات عدداً لا يتجاوز الألف فى جميع أنحاء القطر من أفراد يجيدون القراءة والكتابة ، ويتقنون صناعة ما ، ثم يلمون بنبذة من تاريخ بلادهم ، ولمحة عن المسائل الصحية والاجتماعية الضرورية ، وجملة من مبادىء الدين والأخلاق لكان ... ذلك العدد مع ضآلته ، نواة صالحة ستزداد على مر الأيام ، لخلق مجتمع ناهض قوى ، مزود بكافة الأسلحة التى تمينه على رفع مستواه ، وإبراء نفسه بنفسه من أعدائه الثلاثة وهى الفقر والجهل والمرض . والله ولى التوفيق

هاشم هاف
مدير مركز سوهاج الثقافى